كرمة ابن هانئ

من نظم أمير الشعراء

أحمد شوقي

عني بجمعه

توفيق الر افعي

الكتاب: كرمة ابن هانئ.. من نظم أمير الشعراء (أحمد شوقي)

جمع : توفيق الرافعي

الطبعة: ٢٠٢١

صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٢٣

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

؟؟؟؟؟ ، ؟؟؟؟

كرمة ابن هانئ.. من نظم أمير الشعراء (أحمد شوقي) / جمع : توفيق الرافعي

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٥٩ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٧ – ٠٥٦ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٢١٨٠٦ / ٢٠٢٠

كرمة ابن هانئ





مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على صفوة الأنبياء والمرسلين، وبعد فلا مشاحة في أن لدولة الأدب القدح المعلى في وضع دعائم نهضات الأمم وبناء صروح المجد ونشر آيات البيان ولا مشاحة في أن أمراء القول وملوك القريض هم خير من حمل ألوية قيادة الشعوب. يؤكد لك هذا أو يجعله مرتكزا في مقر التصديق منك أول نظرة تلقيها على صفحة من صفحات التاريخ في تاريخ حماة البطولة.

ولا مرية في أننا نحن الشرقيين الآن في إبان نهضتنا ودور انتقالنا المبارك نحتاج إلى الاسترشاد بآراء رجال الرأي وبعد النظر من حنكتهم سنّ أو ثقف عقولهم نافع علم، حتى نأمن العثار في سيرنا ونكون في مأمن من الزلل وعلى بصيرة في العمل بعيدين عن الغرور بنشوة التغلب على جيوش الجهل والنصرة على دسائس المفسدين.

لا خلاف في أن حضرة صاحب السعادة "أحمد شوقي بك" سيد من قصَّد القصيد في زماننا، فأتى بالمعجزات الباهرات والآيات البينات فهو بحق أمير الشعراء ورافع شارة الخطباء.

لهذا عنَ لنا أن ننشر له بعض قصائد من شعره هن عيون الشعر وغرة في جبين القريض، ويقيننا أنه يحل أسمى محل من نفوس القراء فقد

يجد فيه الأديب والمتأدب ضروبا من الآداب العربية والأفكار العصرية كما يجد فيه الحكيم عبرة وعظة نافعة والسياسي آراء في السياسة صائبة وأنواعا من الدهاء مختلفة.

وغني عن البيان أن شوقي بك بالنسبة لعصره المتحضر، وامتلاء أيامه بالحوادث الجسام، وما أثر في نفسه مما رأى في الشرق والغرب وما وقف عليه من تاريخ الأقدمين، وآثار الغابرين، وأمور الحاضرين، وما طبع عليه من النبوغ والعبقرية، جعلته في منزلة فوق منزلة غيره من معاصريه.

وقد اخترنا أن نسمي كتابنا هذا "كرمة بن هانئ" اقتداء بأميرنا في تسمية بيته في مطرية الزيتون بهذا الاسم.

أجل إن شوقي بك قد أطلق على بيته هذا الاسم وإنا لا نزال نجد روائح التواضع تعبق منه على أنه لو أطلق على بيته ما يشير إلى مقارنته بأبي عبادة البحتري لما كان مغاليا، فإن بين شعره وشعر أبي عبادة مناسبة كبرى هي أن قولهما السحر الحلال والسهل الممتنع.

هذا وقد كان في نيتنا أن نذيل هذه المجموعة بفصل ننشئه في المفاضلة بين ابن هانئ القديم وابن هانئ الحديث، ولكن أعجلنا عن ذلك تشعب البحث في هذا الموضوع والحاجة في تناوله وإتمامه إلى وقت طويل لا نملكه اليوم، والله المسئول أن يوفقنا إلى ذلك فنضع في

هذا المعنى كتابا قائما بنفسه ليعلم القارئ صحة ما ذهبنا إليه من تواضع شاعرنا في تسمية بيته وأحقية اقترانه بأبي عبادة.

وعلى الجملة أن مثلنا في هذا الكتاب الذي نتقدم به إلى القراء —كما قال ابن المقفع – مثل من وجد فصوصاً وجواهر فأخذها ونسقها بوضعه كل شيء منها في محله.

فلا عمل لنا فيه إلا أننا نتبناه وانتقينا مادته واخترنا قصائده فإن أصبنا البغية وأدركنا الغاية، فهذا ما كنا نصبو إليه ونكون بذلك قد خدمنا الأدب العربي بجمع ما تفرق وتألي ما تشتت وإن كان الفضل في الأول والآخر في خدمته لشاعرنا العظيم "شوقي بك" فقد خدم الأدب العربي خدمة لا ينقطع برها وعند الله والناس شكرها.

وإن كانت الأخرى فنكون قد نلنا اجر المجتهد..

والله ولي التوفيق.

توفيق الرافعي

القاهرة في مارس سنة ١٩٢٣



نهج البردة

رِيمٌ علـى القـاع بـين البـان والعلـم	أحل سفك دمي في الأشهر الحرُمِ[١]
رمى القضاء بعيني جُؤذر[٢] حاسدا	يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجمِ[٣]
لمـا رنا حـدثتني الـنفس قائلـة	يا ويح جنبك بالسهم المصيب رمي
جحـدتها وكتمـت السـهم في كبـدي	جـرح الأحبـة عنـدي غـير ذي ألمِ
رزقـت أسمـح مـا في النـاس مـن خلـق	إذا رزقـت التمـاس العـذر في الشـيم
يا لائمـي في هـواه والهـوى قـدرٌ	لـو شـفك الوجـد لم تعـذل ولم تلـمِ
لقـد أنلتـك أذناً غـير واعيـة	ورب منتصـف والقلـب في صـمم
يا ناعس الطرف لا ذقت الهوى أبداً	أشـهرت مضـناك في حفـظ فـنم

---

(١) (الرئم) الظبي الخالص البياض.

(٢) (الجؤذر) ولد البقر الوحشية .

(٣) (الأجم) جمع أجمة الشجر الكثير الملتف وهو مسكن الأسد.

أفـديك ألفـاً ولا آلـو الخيـال فـدًى   أغـراك بالبخـل مـن أغـراه بالكـرم

سـرى فصـادف جرحـاً داميـاً فأسـا   ورب فضـلٍ عـل العشـاق للحُلُـم

مـن المـوائس [(١)] بانا بالـرٌّبي وقنـاً   اللاعبـات بروحـي السـافحات دمـي

السـافرات كأمثـال البـدور ضـحى   يغـرن شمـس الضـحى بالحلـي والعصـم

القَـاتِلاَتُ بأجفـان بهـا سـقم   وللمنيـة أسـباب مـن السـقم

العـاثرّاتُ بألبـابِ الرجـال ومـا   أقلـن مـن عثـرات الـدَّلِّ في الرّسَـم

المضـرّماتُ[(٢)] خـدوداً أسـفرت وجَلَت   عـن فتنـة تسـلم الأكبـاد للضَّـرَم

الحـاملات لـواء الحسـن مختلفـاً   أشـكاله وهـو فـرد غـير منقسـم

مـن كـل بيضـاء أو سمـراء زينتـا   للعـين والحسـن في الآرام كالعصـم[(٣)]

---

(١) (الموائس) جمع مائسة وهي المتبخرة.

(٢) (الضرم) اشتعال النار

(٣) (العصم) هي بياض اليدين

يـرّعن[1] للبصـر السـامي ومـن عجـب — إذا أشـــرن أســـرن الليـــث بالغـــم[2]

وضـعت خـدي وقسـمت الفـؤاد رُبًى — يـرتعن في كُـنس[3] منـه وفي أكَـم [4]

يا بنـــت ذي اللبـــد المحمـــي جانبـــه — ألقـاك في الغـاب أم ألقـاك في الأُطُـم[5]

مـا كنـت أعلـم حـتى عـنَّ[6] مسـكنه — أن المـــنى والمنـــايا مضـــرب الخـــيم

من أنبت الغصن من صمصاَمَةٍ[7] ذكر — وأخـرج الـرَّيمَ مـن ضِـرغامَةٍ[8] قـرم[9]

بيـــني وبَينَـــكَ مـــن سمـــر القنـــا حجـــب — ومثلهـــا عفـــة عذريـــة العِصـــم[10]

لم أغـش مغنـاك إلا في غضـون كـرًى — مغنـــاك ابعـــد للمشـــتاق مـــن إرَم

([1]) (يرعن) يخفن

([2]) (العم) شجرة حجازية لها ثمرة حمراء تشبه بها البنان المخضوبة.

([3]) (الكنس) هو مستقر الغلباء في الشجر.

([4]) (الاكم) جمع أكمه وهي الموضع يكون اشد ارتفعا مما حوله

([5]) (الاطم) القصر وكل حصن مبني بالحجارة

([6]) عن الشيء بان وظهر

([7]) (الصمصامة) السيف

([8]) (الضراغمة) الأسد

([9]) (العرم) شديد الشهوة إلى اللحم وهي هنا كناية عن شدة البأس والافتراس

([10]) (العصم) جمع عصمة وهي المنع والحفظ

يانفــس دنيــاك تخفــي كــل مبكيــة   وإن بــدا لــك منهــا حســن مُبتســم

فــض بتقــواك فاهــاً كلمــا ضــحكت   كــم يفــض أذى الرَّقشَــاء[1] بالثــرَم

مخطوبــة منــذ كــان النــاس خاطبــة   مــن أول الــدهر لم ترمِــل ولم تــئم[2]

يفــنِي الزمــان ويبقــى مــن إســاءَتها   جــرح بآدم يبكــي منــه في الأدَم[3]

لا تحفلــــي بجناهــــا أو جنايتهــــا   المــوت بالزهــر مثــل المــوتِ بالفحــم

كــم نائــم لا يراهــا وهــي ســاهرة   لــولا الأمــانيّ والأحــلام لم يــنم

طــوراً تمــد في نعمــي وعافيــة   وتارة في قــرار البــؤس والوَصَــم[4]

كـم ضَـللتكَ ومـن يحجـب يصـير منـه   إن يَلـقَ صـاباً[5] يـرد أو علقمـاً يَسُـمِ

([1]) (الرقشاء) من الحيات المنقطة بالسواد والبياض

([2]) (الثم) كسر السن من أصلها

([3]) الأيم لا زوج لها

([4]) (الوصم) بالتحريك الالم والمرض

([5]) (الصاب) شجر مر

يا ويلتــاه لنفســي راعهــا ودَهــا [1] مسـودة الصُّـحفِ في مبيضـة اللمَـم[2]

رَكَضــتُها في مريــع المعصــيات ومــا أخـذت مـن حميـة الطاعـات للـتِخَم

هامــت علــى أثــر اللــذات تطلبهــا والـنفس أن يَـدعها داعـي الصـباهم

صــلاح أمــرك للأخــلاق مرجعــه فقــوِّم الــنفس بالأخــلاق تســتقم

والـنفس مـن خيرهـا في خـير عافيـة والـنفس مـن شـرها في مرتـع وخـم

تطغـى إذا مكنـت مـن لـذةٍ وهـوى طغـى الجيـاد إذا عضـت علـى الشـكم

إن جَـلّ ذنـبي عـن الغفـران لي أمـل في الله يجعلــني في خــير معتصــم

ألقــي رجــائي إذا عــز المجــير علــى مفـرج الكـرب في الـدارين والغمـم

إذا خفضـــت جنـــاح الـــذل اســـأله عـزَّ الشـفاعة لم أسـأل سـوى أَمـم[3]

وان تقـــدم ذو تقـــوى بصـــالحة قــدمت بــين يديــه عــبرة النــدم

---

(1) "دها"أي دهاها

(2) "اللمم" جمع لمة وهي الشعر يجاور شحمة

(3) "الأمم" اليسير

لزمـــت باب أمـــير الأنبيـــاء ومـــن   يُمسِـــك بمفتـــاح باب الله يغتـــنم

فكـــل فضـــل وإحســـان وعارفـــةٍ   مـــا بـــين مســـتلم ومنـــه وملتـــزم

علقـت مـن مدحـه حـبلا أعـز بـه   في يـوم لا عـز بالأنسـاب واللّحـم[1]

بـزري قريضـي زهـيرا حـين أمدحـه   ولا يقـاس إلى جـودي نـدى هَـرِمِ

محمـــدٌ صـــفوة الهـــادي ورحمتـــه   وبغيـــة الله مـــن خلـــق ومـــن نســـمِ

وصاحب الحـوض يـوم الرسـل سـائلة   مـتى الـورود وجبريـل الأمـين ظمـي

ســـناؤه وســـناه الشـــمسُ طالعـــة   فـالجرم في فلـك والضـوء في علـم

قـد أخطـا الـنجم مـا نالـت أبوتـه   مـن سـؤدد باذخ في مظهـر سـم

نمُـوا إليـه فـزادوا في الـورى شـرفا   ورب أصـل لفـرع في الفخـار نمـي

حـواه في سـبحات الطهـر قـبلهم   نـوران قامـا مقـام الصـلب والـرحم

([1]) للحم" جمع لحة وهي القرابة

لمــــا رآه بحـــــيرا قـــــال نعرفــــه بمــا حفظنــا مــن الأسمــاء والسـيم

ســائل حِــرَاء وروح القــدس عَلمِــا مصــون ســر عــن الإدراك منكــتم

كــم جيئــةٍ وذهــاب شــرفت بهمــا بطحـاء مكـة في الإصـبَاحِ والغَسَـم[1]

ووحشـــة لابـــن عبـــد الله بينهمـــا أشـهى مـن الأنـس بالأحبـاب والحشـم

يســامر الــوحي فيهــا قبــل مهبطــة ومــن يبشــر بســيما الخــير يتســم

لما دعـا الصـحب يستسـقون مـن ظمـأ فاضـت يـداك مـن التسـنيم بالسـنم [2]

وظللتـــه فصـــارت تســـتظل بـــه غمامـــة جـــذبتها خـــيرة الـــديم

محبـــــة لرســـــول الله أشـــــربها قعائــد الــدير والرهبــان في القمــم

إن الشـــمائل إن رقـــت يكـــاد بهـــا يُغـري الجمـاد ويغـوي كـل ذي نَسَـم

ونــــودي اقــــرَأ تعــــالى الله قائلهــــا لم تتصـل قبـل مـن قيلـت لـه بفـمِ

([1])"الغم" الإمساء وظلمة الليل

([2]) "التسنيم" ماء بالجنة يجري فوق الغرف وسنم الإناء تسنيما ملأه

هنـاك أذّنَ للـرحمن فـامتلأت   أسمـاع مكـة مـن قدسـيةِ الـنغم

فـلا تسـل عـن قـريش كيـف حيرتهـا   وكيـف نفرتهـا في السـهل والعلـم

تسـاءلوا عـن عظـم قـد ألم بهـم   رمـى المشـايخ والولـدان باللمـم [1]

يا جـاهلين عـل الهـادي ودعوتـه   هـل تجهلـون مكـان الصـادق العلـم

لقبتمـوه أمـين القـوم في صـغر   ومـا الأمـين عـل قـول بمـتهم

فـاق البـدور وفـاق الأنبيـاء فكـم   بالخلـق والخلـق مـن حسـن ومـن عظـم

جـاء النبيـون بالآيات فانصـرمت   وجئتنـا بحكـيم غـير منصـرم

آياتـه كلمـا طـال المـدى جـددُ   يـزينهن جـلالُ العتـق والقـدم

يكـاد في لفظـة منـة مشـرفة   يوصـيك بالحـق والتقـوى وبالـرحمِ

يا أفصـح النـاطقين الضـاد قاطبـةً   حـديثك الشـهد عنـد الـذائق الفهـم

---

(1) "اللمم" محركة الجنون

حليت من عطل جيد البيان به   في كل منتشر في حسن منتظم

بكل قول كريم أنت قائله   تحيي القلوب وتحيي ميّت الهمم

سرَت بشار بالهادي ومولده   في الشرق والغرب مسرى النور في الظلم

تخطفت مهج الطاغين من عرب   وطيرت أنفس الباغين من عجم

ريعت لها شرف الإيوان فانصدعت   منم صدمة الحق لا من صدمة القدم

اتبت والناس فوضى لا تمر بهم   إلا على صم قد هام في سم

والأرض مملوءة جوراً مسخرة   لكل طاغية في الخلق محتكم

مسيطر الفرس يبغي في رعيته   وقيصر الروم من كبر أصم عمي

يعذبان عباد الله في شبه   ويذبحان كما ضحيت بالغنم

والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم   كالليث بالبهم أو كالحوت بالبلم (١)

(١) "البلم" صغار السمك

أســـرى بـــك الله لـــيلاً إذ ملائكـــة والرسل في المسجد الأقصى على قدم

لمـــا خطـــرت بـــه التفـــوا بســـيدهم كالشـــهب بالبـــدر أو كالجنـــد بالعلـــم

صـــلى وراءك مـــنهم كـــل ذي خطـــر ومـــــن يفـــــز بحبيـــــب الله يأتمـــــم

جبـــت الســـموات أو مـــا فـــوقهن بهـــم علــــــى منــــــورةٍ دريــــــةِ اللجــــــم

ركوبـــة لـــك مـــن عـــز ومـــن شـــرف لا في الجيــــاد ولا في الأيُنُــــقِ الرســــم

مشـــــيئة الخـــــالق البـــــاري وصـــــنعته وقـــــدرة الله فـــــوق الشـــــك والـــــتهم

حـــــتى بلغـــــت سمـــــاء لا يطـــــار لهـــــا علـــى جنـــاح ولا يســـعى علـــى قـــدم

وقيـــــل كـــــل نـــــبي عنـــــد رتبتـــــه ويا محمد هـــــذا العـــــرش فاســـــتلم

خططـــت للـــدين والـــدنيا علومهمـــا يا قـــارئ اللـــوح بـــل يا لامـــس القلـــم

أحطـــت بينهمـــا بالســـر وانكشـــفت لـــك الخـــزائن مـــن علـــم ومـــن حكـــم

وضـــاعفت القـــرب مـــا قُلّـــدتَ مـــن مِـــنن بـــلا عـــداد ومـــا طوقـــت مـــن نعـــم

سل عصبة الشرك حول الدار سائمة   لــولا مطــاردة المختــار لم تســم

هـل أبصـر والأثـر الوضـاء أم سمعـوا   همـس التسـابيح والقـرآن مـن أمـم[1]

وهــل تمثــل نســج العنكبــوت لهــم   كالغابات والحائمات الزّغبُ كالرّخم[2]

فـــأدبرُوا ووجـــوه الأرض تلعـــنهم   كباطــل مــن جــلال الحــق منهــزم

لــولا يــدُ الله بالجــارَين مــا ســلما   وعينــه حــولُ ركــن الــدين لم يقــم

تـــــواريا بجـــــانح الله واســـــتتروا   ومــــن يضــــمَ جنــــاحُ الله لا يُضــــم

يا أحمــدَ الخــيرِ لي جــاه بتســميتي   وكيــف لا يتســامى بالرســولِ سمَــيِ

المـــادحونَ وأربابُ الهـــوى تبـــعٌ   لصـاحب الـبردة الفيحـاء ذي القَـدَم

مديحـه فيـك حـب خـالص وهـوى   وصـادق الحـب يملـي صـادق الكلـم

الله يشـــــهد أني لا أعارضـــــه   من ذا يعارض صوب العارض العرم[3]

---

(1) "من أمم" من قرب

(2) "الحائمات الزغب" الحمام

(3) العرم يرد المطر الشديد

وإنمــــا أنا بعـــضُ الغـــابطين ومـــن   يغـــبط وليـــك لا يُـــذمم ولا يُلـــمِ

هـــذا مقـــام مـــن الـــرحمن مقتـــبس   ترمـــي مهابتـــه ســـحَبَان بالـــبكَم

البـــدر دونـــك في حســـن وفي شـــرف   والبحـــر دونـــك في خـــير وفي كـــرم

شـــم الجبـــال إذا طاولتهـــا انخفضـــت   والأنجـــم الزهـــر مـــا واسمتهـــا تَسُـــم

والليـــث دونـــك بأســـاً عنـــد وثبتـــه   إذا مشيت إلى شاكي السلاح كَمى[1]

تهفـــو إليـــك وإن أدميـــت حبتهـــا   في الحـــرب أفئـــدة الأبطـــال والـــبُهُم

محبـــــــة الله ألقاهـــــــا وهيبتـــــــهُ   علـــى ابـــن آمنـــةٍ في كـــل مصـــطَدَم

كـأن وجهـك تحـت النفـع بـدر دجًـى   يضـــــيء ملتمـــــا أو غـــــيرَ ملـــــتم

بــــدر تطلــــع في بــــدر فغرتــــه   كغـرة النصـر تجلـوا داجـيَ الظلَـمِ

ذكـــرتَ بالـــيم في القـــرآن تكرمـــةً   وقيمـــة اللؤلـــؤ المكنـــون في الـــيمِ

([1]) (الكمي) لا بس السلاح

الله قسّم بين الناس رزقَهم ... وأنت خيرت في الأرزاق والقِسَم

إن قلتَ في الأمر لا أو قلت فيه نعم ... فخيرة الله في لا منك أو نَعِم

أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له ... وأنت أحييت أجيالا من الرِمَم

والجهل موتُ فان أوتيت معجزة ... فابعث من الجهل أو فابعث من الرجَم

قالوا غزوتَ ورسل الله ما بعثِوا ... لقتل نفس ولا جاؤا لسفك دم

جهلٌ وتضليلُ أحلام وسفسطة ... فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

لما أتى لك عفواً كل ذي حسب ... تكفل السيف بالجهال والعَمَم

والشر إن تلقه بالخير ضِقتَ به ... ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحَسم

سل المسيحية السمحاء كم شربت ... بالصاب من شهوات الظالم الغَلَمِ[1]

طريدة الشرك يؤذيها ويوسِعُها ... في كل حين قتالا ساطِع الحدَمِ[2]

([1]) الغلم الهائج الثائر الشهوة

([2]) "الحدم" بالتحريك شدة احتراق النار وحمها

لــولا حمــاةُ لهــا هبــوا لنصــرتها بالسيف ما انتفعت بالرفق والرحُم[1]

لــولا مكــان لعيســى عنــد مرسِــلِه وحرمــة وجبــت للــروح في القــدَم

لَســمّرَ البــدن الظهــر الشــريف علــى لــو حَــين لم يخــش مؤذيــة ولم يجُــم

جــل المســيح وذاق الصــلبَ شــانِئه إن العقــاب بقــدر الــذنب والجــرم

أخـــو النـــبي وروح الله في نـــزلٍ فــوق الســماء ودون العــرش محــترم

علمــتهم كــل شــيء يجهلــون بــه حــتى القتــال ومــا فيــه مــن الــذمم

دعــوتهم لجهــادٍ فيــه ســؤددُهُم والحــرب أس نظــام الكــون والأمــم

لــولاه لم نــر الــدولات في زمــن مــا طــال مــن عمــد أوقــر مــن دعــم

تلــك الشــواهد تــترى كــل آونــة في الأعصر الغر لا في الأعصر الدُهُمِ

بالأمــس مالــت عــروش واعتلــت سررُ لــولا القنابــل لم تــثُلم ولم تصَــمِ

([1]) "الرحم" الرقة والمغفرة والتعطف

أشـياع عيسـى أعـدوا كـل قاصـمة ولم نعـد سـوى حـالات منقَصـم

مهمـا دُعيـتَ إلى الهيجـاء قمـت لهـا ترمـي بأسـد ويرمـي الله بالـرُجم

علـى لوائـكَ ومـنهم كـلُّ منـتقم لله مسـتقتل في الله معتـزم

مسـبح للقـاء الله مضـطرم شـوقاً علـى سـابح كـالبرق مضـطرم

لـو صـادف الـدهرَ يبغـي نقلـة فرمـى بعزمـه في رحـال الـدهر لم يَـرم

بـيضٌ مفاليـلُ مـن فعـل الحـروب بهـم مـن أسـيف الله لا الهنديـة الحـذُمِ

كـم في الـتراب إذا فتشـت عـن رجـل من مات بالعهد أو من مات بالقسَم

لـولا مواهـب في بعـض الأنام لمـا تفـاوت النـاس في الأقـدار والقـيم

شـريعة لـك فجـرت العقـول بهـا عـن زاخـر بصـنوف العلـم ملـتطم

يلـوح حـول سـنا التوحيـد جوهرهـا كـالحلي للسـيف أو كالوشـي للعلـم[1]

([1]) "الوشى" النقش

سمحاء حامت عليها أنفسٌ ونهىً ومن يجد سلسَلاً ومن حِكمة يحم

نور السبيل يساس العالمون بها تكلفت بشباب الدهر والهم

يجري الزمان وأحكام الزمان على حكم لها نافذٍ في الخلق متسم

لما اعتلت دولة الإسلام واتسعت مشت ممالكه في نورها التمم

وعُلمت أمة بالفقر نازلة رعى القياصر بعد الشاء والنعم

كم شيَّدَ المصلحون العاملون بها في الشرق والغرب ملكا بازخ العظَم

للعلم والعدل والتمدين ما عزموا من الأمور وما شدوا من الحزمِ

سرعانَ ما فتحوا الدنيا لِملتهمِ وأنهَلوا الناسَ من سَلسالها الشيم[1]

ساروا عليها هداة الناس فهي بهم إلى الفلاح طريق واضح العظم

لا يهدم الدهر ركنا شاد عدلهم وحائط البغي إن تلمسه يهدم

([1]) الشم البارد

نالـوا السـعادة في الـدارين واجتمعـوا على عمـيم مـن الرضـوان مقتسـم

دع عنـك رومـا وأثينـا ومـا حـوتا كـل اليواقيـت في بغـداد والنـوَم[1]

وخـل كسـري وإيـوانا يـدلُّ بـه هـوى علـى أثـر النـيران والإيم[2]

واتـرك رعمسـيس إن الملـك مظهـره في نهضـة العـدل لا في نهضـة الهـرم

دار الشـرائع رومـا كلمـا ذكـرت دار السـلام لهـا ألقـت يـد السـلم

مـا ضـارعتها بيـانا عنـد ملتـئم ولا حكتهـا قضـاء عنـد مختصـم

ولا احتـوت في طـراز مـن قياصـرها علـى رشـيدٍ ومـأمون ومعتصـم

مـن الـذين إذا سـارت كتـائبهم تصـرفوا بحـدود الأرض والـتخم

ويجلسـون إلى علـم ومعرفـة فـلا يـدانون في عقـل ولا فهـم

يطـأطئ العلمـاء الهـام إن نبسـوا مـن هيبـة العلـم لا مـن هيبـة الحكـم

([1]) جمع نومة وهي الحبة من الفضة تعمل على شكل العدسة.

([2]) (الإيم) الدخان

ويمطـــرون فمـــا بالأرض مـــن محـــل ولا بمـن بات فـوق الأرض مـن عـدم

خلائـــف الله جلـــوا عـــن موازَنـــة فـــلا تقيســـنَّ أمـــلاك الـــورى بهـــم

مـــن في البريـــة كالفـــاروق معدلـــةً وكـــان عبـــد العزيـــز الخاشـــع الحشـــم

وكالإمـــام إذا مـــا فـــض مزدحمـــا بمـــدمع في مـــآقي القـــوم مـــزدحم

الزاخـــر العـــذب في علـــم وفي أدب والناصـــر النـــدب في حـــرب وفي ســـلم

أو كـــابن عفـــان والقـــرآن في يـــده يحنـــو عليـــه كمـــا تحنـــو علـــى الفطـــم

ويجمـــــع الآي ترتيبـــــا وينظمهـــــا عِقـــداً يجيـــد الليـــالي غـــيَر منفصـــم

جرحـــان في كبـــد الإســـلام مـــا التأمـــا جـــرح الشـــهيد وجـــرحُ بالكتـــاب دمَـــي

ومـــــا بـــــلاء أبي بكـــــر بمـــــتهم بعـــد الجلائـــل في الأفعـــال والخِـــدم

بالحـــزم والعـــزم حـــاط الـــدين في محـــن أضـــلت الحلـــم مـــن كهـــل ومحـــتلم

وحـــدن بالراشـــد الفـــاروق عـــن رشـــد في المـــوت وهـــو يقـــين غـــير منـــبهم

يجـــادل القـــوم مســـتلاً مهنـــده　　في أعظـم الرسـل قـدراً كيـف لم يـدم

لا تعــذلوه إذا طــاف الــذهول بــه　　مـات الحبيـب فضـل الصـب عـن رغـم

يا رب صــلي وســلم مــا أردت علــى　　نزيــل عرشــك خــير الرســل كلهــم

محيـــي الليـــالي صـــلاةً لا يقطعهـــا　　إلا بـــدمع مـــن الإشـــفاق منســـجم

مســبحاً لــك جــنح الليــل محــتملا　　ضـر مـن السـهد أو ضـرا مـن الـوَرَم

رضـــية نفســـه لا تشـــتكي ســـأماً　　ومـا مـع الحـب إن أخلصـت مـن سـأم

وصـــل ربي علـــى آل لـــه نخـــب　　جعلــت فــيهم لــواء البيــت والحــرم

بـيض الوجـوه ووجـه الـدهر ذو حلـك　　شـم الأنـوف وأنـف الحـادثات حمـي

واهـــد خـــير صـــلاة منـــك أربعـــة　　في الصـــخب صـــحبتهم مرعيـــة الحـــرُم

الـــــراكبين إذا نادى النـــــبيُّ بهـــــم　　مـا هـال مـن جلـل واشـتد مـن عمـم[1]

([1]) (العمم) الحادث العمم الطويل كربة الشديد مشتقة

الصـــابرين ونفـــس الأرض واجفـــةٌ	الضـــاحكين إلى الأخطـــار والقُحـــم
يارب هبـــت شـــعوب مـــن منيتهـــا	واســـتيقظت أمـــمٌ مـــن رقـــدة العـــدم
ســـعد ونحـــس وملـــك أنـــت مالكـــه	تـــديل مـــن نعـــمٍ فيـــه ومـــن نقـــم
رأي قضـــاؤك فينـــا رأيَ حكمتِـــه	أكـــرم بوجهـــك مـــن قـــاض ومنـــتقم
فـــالطف لأجـــل رســـول العـــالمين بنـــا	ولا تـــزد قومَـــه خَســـفاً ولا تســـمِ
يارب أحســـنتَ بِـــدءُ المســـلمين بـــه	فـــتمم الفضـــلَ وامـــنح حســـن مختَـــتم

الهمزية

" في مدح سيد الكائنات ﷺ "

وُلِدَ الهُدىَ فالكائناتُ ضياءُ   وفمُ الزمانِ تبسمٌ وثناء

(الروحُ) والملأ الملائكُ حَولَه   للدين والدنيا به بَشَراء

و(العرش) يزهو والحظيرة تزدهي   والمنتهى و (السدرة) العصماء

وحديقة (الفرقان) ضاحكة الربَى   بالترجمان شذية غناء

و(الوحى) يقطر سَلسَلاً من سلَسل   و(اللوح) و (القلم) البدي رُواء

نظمت أسامي الرسلِ فهي صحيفةٌ   في (اللوح) واسم (مُحَمَّد) طغراء

اسم الجلالة في بديع حروفه   اسم هنالك واسم (طه) الباء

يا خيرَ من جاء الوجود تحية   من مرسلين إلى الهدَى بك جاءوا

بيـــت النبيـــين الـــذي لا يلتقـــي إلا الحنـــــائفَ فيـــــه والحنفـــــاء

خـــيرة الأبـــوة حـــازهم لـــك (آدم) دون الأنام وأحـــــــــرزت حـــــــواء

هـــم أدركـــوا عـــز النبـــوة وانتهـــت فيهـــا إليـــك العـــزة القَشـــعَاءُ

خُلقــت لبيتــك وهــو مخلــوق لهــا إن العظـــائمَ كفؤهـــا العظمـــاء

بـــك بشَّـــر اللهُ السَّـــماءَ فزُينـــت وتضـــوعت مســـكا بـــك الغـــبراء

وبـــدا محيـــاك الـــذي قســـماته حـــق وغرتـــه هـــدى وحيـــاء

وعليـــه مـــن نـــور النبـــوة رونـــق ومـــن الخليـــل وهديـــة سِـــيماء

أثـــنى المســـيحُ عليـــه خلـــف سمائـــه وتهلـــك واهتـــزت (العـــذراء)

يـــوم يتيـــه علـــى الزمـــان صـــباحه ومســـاؤه (بمحمـــد) وضـــاء

الحـــق عـــالي الـــركن فيـــه مظفـــر في الملـــك لا يعلـــو عليـــه لـــواء

ذَعـــرت عـــروش الظـــالمين فزلزلـــت وعلـــت علـــى تيجـــانهم أصـــداء

والنــار خاويــة الجوانــب حــولهم　　خُمِـــدَت ذوائبهـــا وغـــاض المـــاء

والآي تـــترى والخـــوارق جمـــةُ　　(جبريــــــلُ) رواح بهـــــا غــــــداء

نعـم اليتـيم بـدت مخايـلُ فضـله　　واليتـــــيم رزق بعضـــــه وذكـــــاء

في المهـد يُستسـقى الحيـا برجائـه　　وبقصـــــــده تُســـــتدفع البأســــاء

بسوى الأمانة في الصبا والصدق لم　　يعرفـــه أهـــلُ الصـــدقِ والأمنـــاء

يا من لـه الأخـلاق مـا تهوى العلي　　منهـــا ومـــا يتعشــــقُ الكــــبراء

لــو لم تقــم دنيــا لقامــت وحــدها　　دنيـــــا تضـــــيء بنـــــورة الآناء

زانتــك في الخلــق العظــيم شمائــل　　يغـــرب بهـــن ويولـــع الكرمـــاء

أمــا الجمــال فأنــت شمــس سمائــه　　وملاحـــــة (الصـــــديق) منـــك إياء

والحســن مــن كــرم الوجــوه وخــيره　　مـــــا أوتي القـــــواد والزعمـــــاء

وإذا سَـخوتَ بلغـت بالجـواد المـدَى　　وفعلـــــت مـــــالا تفعـــــل الأنـــــواء

وإذا عفـــوت فقـــادراً ومقـــدرا لا يســـــتهين بعفـــــوك الجهـــــلاء

وإذا رحمــــت فأنـــت أمُ أو أبُ هـــذان في الـــدنيا هُمَـــا الرُّحمــاء

وإذا غضــبتَ فإنمــا هــي غضــبةٌ في الحـــق لا ضـــغنُ ولا بغضـــاء

وإذا رضــيت فــذاك في مرضــاته ورضـــــى الكثـــــير تحلُّــــمُ ورياء

وإذا خطبـــت فللمنـــابر هـــزَّةُ تنســـى النـــدِيَّ وللقلـــوب بكـــاء

وإذا قضــيت فــلا ارتيــاب كأنمــا جــاء الخصــومَ مــن الســماء قضــاء

وإذا حميــت المــاءلم يــورد ولــو أن القياصــــرَ والملـــوكَ ظِمـــاء

وإذا أجــرت فأنــت بيــت الله لم يـــدخل عليـــه المســـتجيرُ عَـــدَاء

وإذا ملكــت الــنفس قمــت بِبِرِّهــا ولـــو أن مــا ملكـــت يــداك الشــاء

وإذا بنيـــت فخـــيرُ زوجٍ عِشـــرةً وإذا ابتنيـــــــتَ فـــــــدونَكَ الآباء

وإذا صَــحبتَ رأى الوفــاءَ مجســما في بُـــردِكَ الأصـــحابُ والخلطـــاءُ

وإذا أخــذت العهــد أو أعطيتــه		فجميــع عهــدك ذمــة ووفــاء

وإذا مشـيت إلى العـدى فَغضَـنفرٌ		وإذا جريــت فإنــك النكبــاء

وتمـد حلمـك للسـفيه مـداريا		حـتى يضـيق بِعرضِـك السـفهاء

في كـل نفـس مـن سَـطاكَ مهابَـة		ولكـل نفـس في نـداك رجـاء

والـرأس لم يـنض المهنـد دونـه		كالسـيف لم تضـرب بـه الآراء

يا أيهـا الأمـيُّ حسـبُكَ رتبـة		في العلـم أن دانـت بـك العلمـاء

الـذكرُ آيـة ربـك الكـبرى الـتي		فيهـا لبـاغي المعجـزات غنـاء

صـدر البيـان لهـذا التقـت اللغـى		وتقـدم البلغـاء والفصـحاء

نُسـخِت بـه التـوراة وهـي وضـيئة		وتخلـف الإنجيـل وهـو (ذكـاء)

لمـا تمشـي في الحجـاز حكيمـة		قضّـت (عكـاظ) بـه وقـام (حِـرَاء)

أزري بمنطـق أهلـه وبيـانهم		وحـيُ يقصَّـر دونـه البلغـاء

حسـدوا فقـالوا شـاعر أو سـاحر ومـن الحَسُـود يكـون الاسـتهزاء

قد نال (بالهادي) الكريم (وبالهدى) مـا لم تنـل مـن سـؤدَدٍ سـيناء

أمسى كأنـك مـن جلالـك أمـة وكأنـه مـن أنسـه بيـداء

يـوحي إليـك الفـوزَ في ظلمائـه متتابعـا تُجلـى بـه الظَّلمـاءُ

ديـن يشـيد آيـة في آيـة لبنائـه السـورات والأضـواء

الحـق فيـه هـو الأسـاس وكيـف لا والله جـلَّ جلاَلَـه البنـاء

أمـا حـديثك في العقـول فمشَـرعُ والعلـم والحِكَـم الغـوالى المـاء

هـو صِـبغة الفرقـان نفحـة قدسـه والسـين مـن سـوراته والـراء

جـرت الفصـاحة مـن ينـابيع النهى مـن دوحـة وتفجـر الإنشـاء

في بحـره للسـابحين بـه تلـى أدب الحيـاة وعلمهـا إرسـاء

أتـت الـدهور علـى سُـلافته ولم تفـن السُّـلاف ولا سَـلا النـدماء

***

بك يا (ابن عبد الله) قامت سمحةٌ   بالحق من مِلل الهدى غراء

بنيت على التوحيد وهو حقيقة   نادى بها سُقراطُ والقدماء

وجَدَ الزعافَ من السموم لأجلها   كالشهد ثم تتابع الشهداء

ومشى على وجه الزمان بنورها   كُهَّان وادي النيل والعرفاء

إيزيس ذات الملك حين توحدت   أخذت قِوَامَ أمورها الأشياء

لما دعوت الناس لبى عاقل   واحم منك الجاهلين نداء

أبوا الخروج إليك من أوهامهم   والناس في أوهامهم سجناء

ومن العقول جَدَاولٌ وجلامدٌ   ومن النفوس حرَائرٌ وإماء

داء الجماعة من أرسطاليس لم   يوصف له حتى أتيت دواء

فرسمت بعدك للعباد حكومة   لا سوقة فيها ولا أمراء

الله فـــوق الخلـــق فيهـــا وحـــده   والنـــــاس تحـــت لوائهـــا أكفـــاء

والـــدين يســـر والخلافـــة بيعـــة   والأمـــر شـــورى والحقـــوقُ قضـــاء

الاشـــتراكيون أنـــت إمـــامهم   لـــولا دعـــاوَى القـــومِ والغلـــوّاء

داويـــت متئـــداً ودَاوَوا طفـــرة   وأخـــف مـــن بعـــض الـــدواء الـــداء

الحـــرب في حـــق لـــديك شـــريعة   ومـــن الســـموم الناقعـــاتِ دواء

والـــبر عنـــدك ذمـــة وفريضـــة   لا مِنـــةٌ ممنونـــةٌ وجِبـــاء

جـــاءت فوحـــدت الزكـــاة ســـبيله   حـــتى التقـــى الكرمـــاء والـــبخلاء

أنصفتَ أهل الفقر من أهل الغنى   فالكـــل في حـــق الحيـــاة ســـواء

فلـــو أن إنســـانا تخـــير ملـــة   مـــا اختـــار إلا دينـــك الفقـــراء

يا أيهـــا المســـرى بـــه شـــرفا إلى   مـــا لا تنـــال الشـــمس والجـــوزاء

يتساءلون وأنت أطهر هيكل ... بالروح أم بالهيكل الإسراء

بهما سموتَ مطهرين كلاهما ... نور وروحانية وبهاء

فضلٌ عليك لذي الجلالِ ومنةٌ ... والله يفَعل ما يرى ويشاء

تغشى الغيوب من العوالمِ كلما ... طويت سماء قلدتك سماء

في كل منطقة حواشي نورها ... نُونٌ وأنت النقطة الزهراء

أنت الجمال بها وأنت المُجتلَى ... والكف والمرآة والحسناء

الله هيأ من حظيرة قدسه ... نزلا لِذاتك لم يَجُزهُ علاء

العرش تحتك سدة وقوائما ... ومناكب الروح الأمين وطاء

والرسل دونك العرش لم يؤذن لهم ... حاشا لغيرك موعدُ ولقاء

***

الخيلُ تأبى غير أحمدَ حاميا ... وبها إذا ذكر اسمه خيلاء

شـيخ الفـوارس يعلمـون مكانـه أن هيَّجـت آسـادها الهيجـاء

وإذا تصـدى للظبـا فمهنـد أو للرمـاح فصـعدَة سمـراء

وإذا رمـى عـن قوسـه فيمينـه قَـدّرُ ومـا ترمِـي اليمـينُ قضـاء

مـن كـل داعـي الحـق همـة سـيفه فلسـيفه في الراسـيات مَضَـاء

ساقي الجريح ومطعمُ الأسرى ومن أمنـت سَـنابكُ خيلـه الأشَـلاء

أن الشـجاعة في الرجـال غلاظـة مـا لم يزنها رأفـة وسـخاء

والحرب من شرف الشعوب فإن بغوا فالمجـد ممـا يـدَّعون بـراء

والحـرب يبعثهـا القـويُّ تجـبراً وينـوء تحـت بلائهـا الضـعفاء

كـم مـن غـزاةٍ للرسـولِ كريمـةٍ فيهـا رضـىً للحـق أو إعـلاء

كانـت لجنـدِ الله فيهـا شـدة في إثرهـا للعـالمين رخـاء

ضـربوا الضـلالة ضـربة ذهبـت بها فعلـى الجهالـة والضـلال عَفـاء

دعَموا على الحرب السلام وطالما حَقَنت دماءَ في الزمانِ دِماء

الحق عرض الله كلُّ أبيةٍ بين النفوس حمى له ووفاء

هل كان حوله (مُحَمَّد) من قومه إلا صبيٌّ واحدُ ونساء

فدعا فلبى في القبائل عصبة مستضعفون قلائلُ أنضاء

ردوا ببأس العزم عنه من الأذى ما لا يردُّ الصخرة الصماء

والحق والإيمان إن صبًّا على بردٍ فيه كَتيبةٌ خرساء

نفوا بناء الشرك فهو خرائبُ واستأصلوا الأصنامَ فهي هَباء

يمشون تغضي الأرض منهم هيبة وبهم خيال نعيمها أغضاء

حتى إذا فُتحَت لهم أطرافها لم يطغهم ترف ولا نعماء

***

يا من له عِزُّ الشفاعة وحده وهو المنزه ما له شُفَاء

عرش القيامةِ أنت تحت لوائه والحوض أنت حياله السقّاء

تـــروي وتســـقي الصـــالحين ثـــوابهم   والصـــــالحات ذخـــــائر وجـــــزاء

ألمثـل هـذا ذقـت في الـدنيا الطـوى   وانشـــق مـــن خلـــق عليـــك رِدَاء

لي في مـــديحك يا رســـول عـــرَائسُ   تـــيمن فيـــك وشـــاقهن جـــلاء

هـــن الحِســـان فـــإن قبلـــت تكرمـــا   فمهـــــورهن شـــــفاعة حســـــناء

أنـــت الـــذي نظـــمَ البريـــة دينـــه   مـــاذا يقـــول ويـــنظم الشـــعراء

المصـــلحون أصـــابع جمعـــت يـــدا   هـــي أنـــت بـــل أنـــت اليـــد البيضـــاء

مـــا جئـــت بابَـــكَ مادِحـــاَ بـــل داعيـــاَ   ومـــن المـــديح تضـــرع ودعـــاء

أدعـــوك عـــن قـــومي الضـــعاف لازمـــة   في مثلهـــا يلقـــى عليـــك رجـــاء

أدري رســـــول الله أن نفوسَـــــهم   رَكِبـــت هواهـــا والقلـــوب هـــواء

متفككـــون فمـــا تضـــم نفوســـهم   ثقـــةً ولا جمـــع القلـــوبَ صـــفاء

رَقـــدوا وغرهمـــوا نعـــيم باطـــل   ونعـــيم قـــومٍ في القيـــودِ بـــلاء

ظلمـــوا شـــريعتك الـــتي نلنـــا بهـــا مـــــا لم ينـــــل في (رومـــــة) الفقهـــــاء

مشـت الحضـارة في سـناها واهتـدى في الـــــدين والـــــدنيا بهـــــا الســـــعداء

صلى عليك الله ما صحب الدجى حـــــادٍ وحنـــــت بالفـــــلاً وَجنـــــاء

واســـتقبل الرضـــوانُ في غرفـــاتِهم بجنـــــان عـــــدن آلـــــك الســـــمحاء

خـير الوسـائل مَـن يقـع مـنهم علـى ســـــبب إليـــــك فحســـــبي (الزهـــــراء)

ذكرى المولد

به هجرُ يتيمه   كلا جفينك يعلمه

هما كادا لمهجته   منك الكيد معظمه

تعذبه بسحرها   وتوجِدُهُ وتعدِمهُ

فلا هاروتَ رق له   ولا ماروتَ يرحمه

وتظلمه فلا يشكو   إلى من ليس يظلمه

أسرَّ فمات كتمانا   وباحَ فخانه فمه

فويح المدنف المعمود   حتى البثَّ يحرمه

طويل الليل ترجمه   هواتفه وأنجمه

إذا جد الغرام به   (جرى في دمعه دمه)

يكــــاد لعــــده أبــــداً   يعــــادي الســــقم يســــقمه

ثــــنى الأعنــــاق عــــوده   وألقــــى العــــذرَ لومــــهُ

قضــى عشـقا سـوى رمـق   إليــــك غــــدا يقدمــــه

عسى إن قيل مات هوى   تقــــول الله يرحمــــه

فتحيــــا في مراقــــدها   بلفــــظ منــــك أعظمــــه

***

بروحــــي البــــان يــــوم رنا   عــــن المقــــدور أعصــــمه

ويــوم طعنــت مــن غصــن   منعمــــه معلمــــه

قضــــاء الله نظرتــــه   ولطــــف الله مبســــمه

رمــى فاســتهدفت كبــدي   بي الرامــــي وأســــهمه

لــه مــن أضــلعي قــاعُ ومـــن عجـــب يســـلمه

ومـــن قلـــبي وحبتـــه كـــــاس بات يهدمـــــه

غـــزال في يديـــه التيـــه بـــين الغيـــد يقســـمه

كأن أباه مر (بأحمد الهادي) يكلمــــــــــــــــــه

***

نـــبي الـــبر والتقـــوى منـــار الحـــق مطلعـــه

معـــاني (اللـــوح) أشـــرفها رســـــالته ومقدمـــــه

لــه في الأصــل أكــرمهم عريـــق الأصـــل أكرمـــه

(خليـــــل) الله معدنـــــه فكيـــف يزيـــف دِرهمـــه

أبـــوة ســـؤددٍ أخـــذت بقـــرن الشـــمس تزحمـــه

(ذبيجـــــون) كلهــــــم　　أمـــــير البيـــــت قيمـــــه

تلاقَـــوا فيــــه أطهـــاراً　　بســــــيماهم تســــــموه

فـــنعم الغمـــد آمنـــةُ　　ونعـــم الســـيف لهذمـــه

ســرى في طهــر هيكلهـا　　كســري المســك يفعمــه

يتيمـــــا في غلالتهـــــا　　تعـــــالى الله موتمـــــــه

تـــزف الآي محملـــــه　　إلى الـــــدنيا وتقدمــــــه

ويمشــي نــور (أحمــد) في　　ظَـــلاَم الجهـــل يهزمـــه

وفي النـــيران يخـــدمها　　وفي الإيـــــوان يُثملـــــه

وفي المعـــوج مـــن ديـــن　　ومـــــن دنيـــا يقومـــــه

فلمــــا تم مــــن طُهُــــر　　ومــــن شــــرف تقسَّــــمه

تجلـــى مولـــد الهـــادي يضـــيء الكـــون موسِمُـــه

هلمـــوا أهـــل ذا النـــادي علـــى قـــدم تعظمـــه

بـــدرا تســـتقبل الـــدنيا بـــه خـــيراً توسَمَـــه

يجملهـــــا تهللـــــه ويجليهـــــا تبســـــمه

إلى الـــرحمن جبهتـــه ونحـــو جلالهـــا فمـــه

وفي كتفيـــه نـــور الحـــق وضـــــاح وروسمـــــه

يتـــيم في جنـــاح الله يرعـــــاه ويعصـــــمُه

فمـــن رحـــم اليتـــيم ففـــي (رســـول الله) يرحمـــه

يقـــوم بـــه عـــن الأبـــوين (جبريـــــل) ويخدمـــــه

وترضـــعه فتـــاة الـــبر مـــن (ســـعد) وتفطمـــه

ويكفلـــه موشـــى الـــبر دِ يـــوم الفخـــر معلمـــه

***

نـــبي الـــبر علمـــه وجـــاء بـــه يعلمـــه

أبـــر الخلـــق عاطفـــة وأسمحـــــهُ وأحلمـــــه

وأصـــــبره لنائبـــــة ومحـــــذور يجشـــــمه

لكـــل عنـــده في الـــبر حـــق لـــيس يهضـــمه

وفى الأهـــل والأتبـــا ع والمســـكين يطعمـــه

ســـحاب الجـــود راحتـــه وفي برديـــه عَيلمُـــه

ومـــا الـــدنيا وان كثـــرت ســـوى خـــير تقدمـــه

يضـــيء القـــبر موحشـــه عليـــك بـــه ومظلمـــه

وتغنمـــــــــــــه إذا ولى عـــن الإنســـان مغنمـــه

نظـــام الـــدين والـــدنيا أتـــــيح لـــــه يتممـــــه

تطلـــــع في بنائهمـــــا علـــى التوحيـــد يدعمـــه

بشـــرع هـــام في النـــاس هاشمـــــــه وأعجمـــــــه

كضـــوء الصـــبح بينـــه وكالبنيـــــــان محكمـــــــه

بيـــان جـــل موحيـــه وعلـــــى عـــــز ملهمـــــه

(حكـــــيم الـــــذكر) بين الكتب مظهره وميسمه[1]

وكـــم للحـــق مـــن غـــاب رســـــول الله ضـــــيغمه

لـــه الغـــزوات لا تُحصـــى ولا يحصـــــى تكرمـــــه

---

(1) الميسم الحديدة أو آلة تسم بها أثر الوسم واليسم الجمال والحسن أيضا وهو المقصود هنا----

تكـــاد تقيـــد الإســـداء   قبـــل الســـيف أنعمـــه

أمـــين قـــريش اختلفـــت   فجاءتـــــــه تحكمـــــــه

صـــبيا بـــين فتيهـــا   إليـــه الأمـــر يرسمـــه

وإن أمانـــة الإنســـان   في الـــــدنيا تقدمـــــه

زكـــى القلـــب طهـــر مـــن   هـــوى وغوايـــة دمـــه

عفيـــف النـــوم يصـــدق مـــا   يـــرى فيـــه ويحلمُـــه

وخلوتـــه إلى ملـــك   علـــى حلـــم يحلمـــه

يفـــيض عليـــه مـــن وحـــي   فيفهَمُـــــهُ ويُفهِمُـــــه

كتـــاب الغيـــب مفضـــوض   لـــــه باد محكَمـــــه

مبـــين فيـــه مـــا يأتي   ومـــا ينـــوى ويعزمـــه

ويظهـــر كـــل معجـــزة لشـــــانيه فيفحمـــــــه

فغاديـــــــة تظللـــــــه وباغمـــــــة تكلمـــــــه

تـــروي الجـــيش راحتـــه إذا استســــقى عرمرمــــه

ويســـتهدي الســـماء حيـــا لســـــائله فتســـــجمه

وترســـل ســـهم دعوتـــه إلى البـــــاغي فيقصـــــمه

تبـــارك مـــن بـــه أســـرى وجـــــل الله مكرمـــــه

يُرِيـــه بيتـــه الأقصـــى ويطلعـــــه ويعلمـــــه

علـــى ملـــك أمـــين الله مســــرجه وملجمـــــه

معـــارجِ الســـموات العلـــى والعـــــرش ســـــلمه

فلمـــا جـــاء ســـدرته وكـــان القـــرب أعظمـــه

دنا فرأى فخر فكان　　　من قوسين مجشمه

(رسول الله) لن يشقى　　　ببابك من ييممه

وأين النار من بشر　　　بسدته تحرمه

لواء الحشر بين يديك　　　يوم الدين تقدمه

شفيعا فيه يوم يلـ　　　وذ بالشفعاءَ مجرمه

ففي يمناك جنته　　　وفي اليسرى جهنمه

أنا المرحوم يومئذ　　　بدر فيك أنظمه

ولا مَنٌّ عليك به　　　فمن جدواك منجمه

أينطق حكمة وحجا　　　لسان لا تقومه

خلاصي لست أملكه　　　وفضلك لست أعدمه

ثــراك مــتى أطيــف بــه وأنشــــــقه وألثمــــــــه

ففيـــه الخلـــق أعظمـــه وفيـــه الخلـــق أوسمـــه

ســقاه مــن نمــير (الخــ لــــد) كـــوثره وزمزمـــه

ولا برحــــت معطـــــرة مــــن الصـــلوات تلزمـــه

دول العرب

"وضع شاعرنا في دول العرب منذ جاهليتها إلى أن أدال الله منها في الإسلام – ملاحم شعرية بين قصيد وأراجيز وموشحات، ملاحم ملأها بالأدب العالي، والخيال السامي والنقد التاريخي. أودع فيها ما شاء من الأحاديث والسير، والعظات والعبر، وضعها وهو في إسبانيا. ألم فيها بالدول الإسلامية العربية جمعاء ومن بينها الأندلس".

يا فطنــــا بســــير الكبـــــار مقتتنـــــا بغـــــرر الأخبـــــار

وطالــب الجــوهر في الــتراجم ملــتمس التــبر مــن المنــاجم

جئتــك بالبرجــاس والمــريخ [1] خصــــمين بــين يــدي التــاريخ

قرنــت خيرهــا تقــي وعلمــا[2] بخيرهـــا سياســـة وحلمـــا [3]

([1]) (البرجاس) المشترى – معوب يعني بالبرجاس والمريخ عليا ومعاوية

([2]) (خيرها تقى وعلما) عليا

([3]) بخيرها سياسة وحلما معاوية

بـل قرنـت بينهمـا أيـدي الغـير[1]   افترقــا علـــى التلاقـــي في الســـير

أبـــو الشـــهابين وهـــل يخفـــى القمر[2]   والثاقـب الـرأي اللعـوب بالزمـر[3]

أو قـــيم الـــدين ولا أحــــابي   وقـــيم الـــدنيا مـــن الصـــحاب

عن ذكر الآباء جاء "بالقمر"[4]   جـــدا تمنـــاه العتيـــق وعمـــر[5]

([1]) يريد بالغير ما شجر بين على ومعاوية

([2]) أبو الشابين على – والشهابان الحسن الحسين

([3]) والثاقب الرأي معاوية

([4]) عبد مناف وهو جدهما الذي يلتقيان فيه

([5]) العتيق أبو بكر

اعتذار

قلنا في فاتحة هذا الكتاب أنه قد يجد فيه الأديب والمتأدب ضروباً من الآداب العربية والأفكار العصرية كما نجد فيه الحكيم عبرة وعظة نافعة والسياسي آراء في السياسة صائبة وأنواعا من الدهاء مختلفة، ولكن شاءت الأقدار أن يكون عملنا مبتورا ووعدنا ناقصاً. وأن ينتهي مجهودنا عند هذا الحد فقد فوجئنا – ونحن في المرحلة الأولى من مراحل هذا الكتاب – بكتاب من الأستاذ وهيب دوس المحامي يرى لما فيه بناء على طلب من حضرة صاحب السعادة حارس لغة القرآن "أحمد شوقي بك" أن نقف عند هذا الحد من الكتاب وألا نتعداه وتوعدنا إذا نحن مضينا في طريقنا.

فلم يكن لنا بد من النزول على هذا الحكم، فأمسكنا مكرهين عن إتمام ما بدأناه مريدين وقد قصر هذا الإنذار من الجهد فلم يمتد إلى أبعد من هذه المرحلة.

فإذا كان في هذا الموقف ما يحمد فذاك أن ما اجتمع في هذا الكتاب إنما كان من باب واحد وهو المدح النبوي، فكأن روحانية النبي ﷺ قد أبت أن يذكر معه في هذا المقام سواه ليدل هذا الكتاب عليه وضح من سناه.

ونحن على هذا نحمد لحسان هذا العصر أنه أتاح لنا فضل الأمل في أفضل مأمول وهو مُحَمَّد ﷺ فعسى أن يتقبل هذا العمل بالقبول وحسبنا ذلك وكفى.

توفيق الرافعي

الفهرس